**لأحلام الذهبيّة العجيبة**

أنا شاب . . سلختُ من عمرى اكثر من عشرين سنة وأنا سادر ــ الى الآن ــ فى نوم غفلة عجيب . لمّا حصلت على شهادة الثانويّة ( البكالوريا ) كان ظنّى أنّ هذه الشهادة هى إلهى ، حبيبى . . وكلّ شى‏ء ! حينما عدت الى البيت أحمل الشهادة كان أبى وأمّى يحلمان بى أحلاما ذهبيّة عجيبة . أحدهما يقول : سيغدو ولدنا موظفا

يؤمّن معيشتنا . يقول آخر : سيواصل تعليمه الجامعىّ إنْ شاء اللّه ويكون طبيبا ، وعندها لا يمكن أن يقال له : فوق عينك حاجِب ! ويقول ثالث : أحبّ أن يصبح مهندسا ذا دَخْل كبير . وهكذا اجتمعوا جميعا ليغرقونى تماما فى نوم من الغفلة عجيب . إنّ أحدا منهم لم يَقُل مثلاً : عليه الاعتماد على اللّه فى كلّ ما يهمّه . أو : ينبغى أن يستفيد أيضا من المعانى الايمانيّة والروحيّة . أو : أن يرتقى الى مقام من مقامات الانسانية رفيع . أو : الآخرة . . لابدّ أن يجعلها فى حسابه .

وهكذا سَدَرْتُ منذ سنّ الثامنة عشرة فى نوم عميق لم يُخرجنى منه شى‏ء . ولربما لم تكن فيما حولى ضجّة ولا ضوضاء لتوقظنى . بل انّ هدهدة النوم التى كان يناغينى بها أبى وكذا أمّى كانت تُسلمنى الى خدر غفلة أعمق . . حتّى انّى كنت أتخيّل فى نوم الغفلة هذا ما كان يقوله أبواى ، فأرى فى النوم أنّى قد سلخت فى عالم المعنى سنتين كأنهما ليلة ظلماء .

وحَدَث فى ساعة غير متوقّعة أن وقع فى يدى كتاب يصوّر سيرة واحد من أولياء اللّه . . فرحت أقرأ فيه . واذا بى أهبّ من رقدتى ، وبدنى يرتعش .

أترى لهذا الكلام من حقيقة ؟!

أهناك حقّا سبيل ليكون الانسان وليّا للّه ، محبوبا عند اللّه ، عزيزا لدى اللّه . . ويتحدّث مع اللّه ؟!

أيكون أولياء اللّه الذين مُدِحوا فى القرآن بأنْ :

**« لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ »**([[1]](#footnote-1)) ،

وأنّهم لا حساب عليهم ولا يخافون الموت ويموجون شوقا الى لقاء اللّه . . أيكون هؤلاء قد خُلِقوا غير خِلْقتنا ؟!

أيمكننى أنا أن أصل الى وصال المحبوب الحقيقىّ ــ أى الحقّ ( جلّ وعلا ) ــ وأن يغدو اسمه رفيقى ؟!

أتراه يمكننى أن أتكلّم مع اللّه وأحبّه ؟!

إنّ شيئا كالعاصفة كان يعتمل فى داخلى . لم أكن أعرف ما الذى علىّ أن أفعله . . ولا من أين أبدأ . وعلى حين غَرَّة وجدت هذه الآية القرآنية تجرى على لسانى ، ولعلّ ربى ومحبوبى وعزيز فؤادى هو الذى ألقى هذه الآية فى رُوعى :

**« واِذا سَألَكَ عِبادى عَنّى فَإنّى قَرِيبٌ أُجيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ فَلْيَسْتَجيبُوا لى وَلْيُؤْمِنُوا بى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ »**([[2]](#footnote-2)) .

ورحت أتلو هذه الآية الكريمة متدبّرا فى معناها . . فعلمت أنّ اللّه ( تعالى ) لم يكن قد طردنى عن بابه ، بل إنّ كرمه يدعونى اليه . فامتلأت كَيْنونتى كلّها بالأمل والرجاء . وقفت بين يَدَى اللّه أبكى ليلاً ونهارا .. اتضرّع الى اللّه الرؤوف الرحيم هادى التائهين أن يهدينى الى مقام الانسانيّة الرفيع . وبعد مدة من التضرّع والتذلّل والبكاء قيّض لى ــ وله الحمد ــ أستاذا شفيقا ، فحلّقت بمعونته تلقاء الكمالات الروحيّة . وانّى لأوصى ــ بعد تجربتى هذه ــ كلّ البشر الطيّبين اذا كان يهمّهم أمر اليقظة من سُبات الغفلة أن يُكثروا من قراءة سِيَر أولياء اللّه ، وأن يتخذوا منها المواعظ والعِبَر .

1. ــ **سورة البقرة : 62 .** [↑](#footnote-ref-1)
2. ــ **سورة البقرة : 186 .** [↑](#footnote-ref-2)